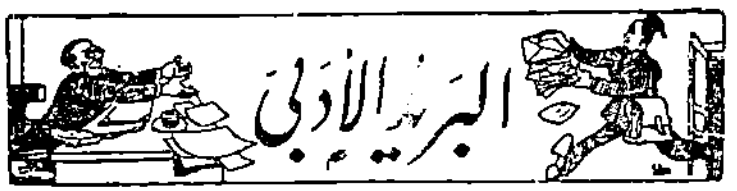

٤ — الشعر الجديد

زرت ليلة مجلس النواب فى عهد سعد العظيم . فقام نائب فخطب وأطال . فلما فرغ قام سعد — رحمه الله — فقال ما معناه : « إنى أعدّ نفسى متوسط الذكاء ، وأزعُم أنى قادر على فهم ما يدور فى هذا المجلس من كلام . ولكنى أؤكد لكم أنى أخفقت فى تتبّع ما قاله حضرة النائب المحترم » .

فوقفنا تُجاهَ (الشعر الجديد) قد يشبه من بعض الوجوه موقف سعد تجاه هذا الخطيب .

فنحن أيضاً نزعم أننا وَسَط فى الذكاء ، ونزعم أننا نتذوّق الشعر ، وأننا نميز غَثَّه من سمينه ، وخبيثه من طيّبه ، وأننا قرأناه فى جميع عصوره ، فوجدناه كله — بما لنا من سليقة تكونت على الزمن — نَسْجاً حيكَ على منوال واحد ، هو منوال العربية وحدها . وإنما تختلف الأساليبُ ، وتتعدّد مناهج القول ؛ فتقوى تارة ، وتَرِكُّ تارة أخرى ، وتسمو حيناً حتى تبلغ الذروة من البيان .

ولقد عبَّر الشعراء فى خلال تلك الأجيال عن معان يكاد يُخْطئها العدّ ، وعن أغراض تجِلّ عن الحصر . وتناولوا المعنوىّ والحِسّىّ ، والفلسفىّ والدينىّ ، والعميق والضَّحْضاح ؛ حتى التافه وما قد يَدُور فى أخلاد الأطفال — تناولوا كل ذلك فنسجوه على هذا المِنْسج العتيد .

نظرنا فى كل هذا وأمعنّا فيه ، فلم نلمح فى شىء منه عجمة ، ولم ننكر فيه رطانة .

حتى فجأنا (الشعر الجديد) منذ نحو ثلث قرن — كما أشرت فى كلمتى الأولى — فإذا نحن — إذ نقرؤه — ننكر من أنفسنا ما قد عهدناه فيها من نَفَاذ فى الفهم ومَضاء فى المعانى ؛ وإذا نحن نحار فيما نقرأ : أعربىّ هذا أم أعجمىّ ؟ أم قد ارتقى هؤلاء الشعراء حتى بلغوا مستوًى تخلّفنا نحن وراءه ؟ لمكان ثقافتهم ، وسعة أفقهم ، وجديد تربيتهم .

ثم نعرض أسماءهم — وهى كثيرة — فلا نرى بينها اسماً باهراً ، أو اسماً نابهاً ، أو اسماً ذا تاريخ

ولكنهم كلهم — أو جلهم — أحداث أو أشباه أحداث ، أحدق بهم شرذمة من الصفقين ، والمعجبين المخدوعين ، عملوا على نشر منظوماتهم وإذاعتها . فخلبت أفئدة الأغرار ببريقها . وراح طلبة المدارس ومن إليهم يقلدون هذه الفقاقيع — وما أيسر ما تقلد ! ووجدوا هم أيضاً منفذاً إلى الصحافة ، فنفذوا وظن كل أنه شاعر ، وأنه يشار إليه بالبنان !

أمامي الآن مجلة فيها منظومة من ذلك الطراز ، عنوانها (زفرة فى التيه) إنه لعنوان خداع ، يسترعى الانتباه ، ويحفز على الاطلاع[1]

قرأتها أول مرة ، وأنا أبحث عن (الزفرة) وعن (التيه) ، وكيف كانت تلك الزفرة؟ وما مبعثها ؟ أو — على الإجمال — قرأتها وأنا مشوق إلى القصة كلها . فهنا موضوع طريف فى شعر جديد !

لم أحْلَ من التلاوة الأولى بطائل[2]. فأعدتها ثم أعدتها ، فانجلى المثير عن اضطراب عام

(١) وهكذا معظم عنواناتهم

(٢) حلى « كرضى » منه بكذا : أصاب منه كذا

طريقة من الشعر المرسل لا يستقيم ميزانها ولا يجمل فى السمع وقعها لكان لها شأن أى شأن ، فهما فى القمة من الفن المسرحى موضوعاً وحركة وتوزيعاً ، وروحه فيهما هى هذه الروح التى أملت تلك القصة العجيبة الجيدة ، سلامة القس ، التى تمتاز بقوة تماسكها وجمال موضوعها وتناسق عاطفتها ، وصحتها الشعرية الغامرة ... وإن كنتُ لا أوافق الأستاذ على نهايتها على هذا النحو الصوفى ... وقد ذكرت كلمة من قال : أين هذا الموسيقى الذى لم يكمل لحنه ، عند ما فرغت من قراءتها ؛ فالقصة لم تنته بعد ، لأن العاشقين لا يزالان حيين يرزقان ، ولعل الصديق العزيز يضع لنا الجزء الثانى منها بأن يخلق لنا من عنده ما كان من أمر سلامة فى قصر يزيد ، وما كان من أمر عبد الرحمن فى مكة ، وسواء انتهى أمرهما إلى مأساة أو غيرها ، فالذى نطلبه هو ألا يدعنا الكاتب على هذا النحو من التشوف والألم الذى لم يقر بنا إلى قرار

ووصيتى أن يقرأ الأستاذ باب الاعتكاف فى كتب الفقه ، وأن يتقبل تهنئات الأدب المصرى الحديث وشكر قرائه المعجبين

دريني خشبة

فى أوائل النظم كلام يشبه الشكوى . ثم تَفَلْسُف معقد لا غاية له ، ثم أبيات لم أتبين لها معنى ، وأبيات قد تفهم على نحو ما ، ثم تأوهات صاخبة ، ثم سخط وضجر ، ثم معان أخرى متغايرة ، متداخلة أو متنافرة

حاولت أن أربط فى ذهنى هذه العناصر ، لأكوّن وحدة الموضوع ـ على حد تعبيرهم الآن ـ فجهدت على غير جدا

دع عنك التقعّر والتشدّق ؛ ففى المنظومة منه كثير . وهناك ما شئت من ترقيم ، وما شئت من علامات ، وما شئت من ضبط بالشكل .

أما الزفرة فى التيه فقد تاهت !

هذا وصف مجمل للمنظومة التى بين يدىّ . وهو وصف غير شاف كما ترى ؛ دفعنى إليه أنى أتوخى ألا ينمّ حديثى هذا على الأشخاص ، كما وعدت من قبل . ولكنه وصف يكشف عن الطابَع العام للشعر الجديد . ولدينا من هذا الكشف مزيد فيما يلى من حديثنا ، إن شاء الله . (ع)

هل الموت مشكلة ؟

من دأب الإنسان أن يتمرد على الوجود وخالقه ، كلما أعيته مشكلة من مشاكل الحياة المعقدة . ولعل من هذا القبيل ما ساقه الأستاذ اسماعيل مظهر فى الرسالة على لسان شيخه عُمران الذى استأثر القدر بابنه (أسامة) . أما المشكلة التى تكمن من وراء ثورة هذا الشيخ على الحياة ، فهى مشكلة (الموت) ؛ والموت هو الحقيقة القاسية التى يتحطم على صخرتها كل تفاؤل للانسان . ولكن الموت ـ مع ذلك ـ ليس هو المشكلة التى يجب أن تستثير دهشة المرء ، وإنما المشكلة هى (الولادة) : naissance . فكما يقول الفيلسوف سان مارتان Saint-Martin : (لقد رأيت أن البشر يعجبون لأنهم يموتون ، ولكنهم لا يعجبون مطلقاً لأنهم يولدون ؛ مع أن هذا هو فى الواقع ما يستحق الدهشة والإعجاب)[1]

وعلى الرغم من أن (الموت) كثيراً ما يُنظر إليه باعتباره لغز الحياة المعقّد ، إلا أنه فى حقيقة الأمر ليس مشكلة تستهم على الباحث المتدبر . وقد فطن إلى ذلك ابن سينا فكتب رسالة سماها (الشفاء من خوف الموت) وفيها يحل مشكلة الموت بأن يقول : (كل كائن لا محالة فاسد ، فمن أحب أن لا يفسد فقد أحب أن لا يكون ، ومن أحب أن لا يكون فقد أحب فساد نفسه ، وكأنه يحب أن يفسد ويحب أن لا يفسد ، ويحب أن يكون ويحب أن لا يكون ، وهذا محال لا يخطر ببال عاقل . وأيضاً فلو جاز أن يبقى الإنسان لبقى من كان قبلنا ، ولو بقى الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا ، لما وسعتهم الأرض ، وأنت تتبيّن ذلك مما نقول : قدّر أن رجلاً واحداً ممن كان منذ أربعمائة سنة موجود الآن ، وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن تحصى أولاده الموجودون ، كأمير المؤمنين على بن بى أطالب عليه السلام ، وله أولاده ولأولاده أولاد ، وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم أحد ، ثم احسب مقدار من يجتمع منهم فى وقتنا هذا ، فإنك تجده أكثر من عشرة آلاف رجل . واحسب كل من فى ذلك العصر عائشاً على بسيط الأرض شرقها وغربها ، مثل هذا الحساب ، فإنهم إذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم تحصهم عدداً ؛ ثم امسح بسيط الأرض فانه محدود معروف المساحة ، لتعلم أن الأرض حينئذ لا تسعهم قياماً ومتراصين ، فكيف قعوداً متصرّفين ، ولا يبقى موضع لعمارة يفضل عنهم ، ولا مكان لزراعة ، ولا مسير لأحد ، ولا حركة فضلاً عن غيرها ؛ وهذا فى مدة يسيرة من الزمان فكيف إذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة . وهذه حالة من يشتهى الحياة الأبدية ويكره الموت ويظن أن ذلك ممكن من الجهل والغباوة . فإذا الحكمة الإلهية البالغة والعدل المبسوط بالتدبير المحكم هو الصواب الذى لا معدل عنه ، وهو غاية الجود الذى ليس وراءه غاية » ا هـ

فالموت إذن ليس مشكلة إلا إذا حكمنا عقلنا الفردى ؛ ولكننا إذا وسّعنا أفق نظرنا ، فإننا نرى أن الموت ضرورة تقتضيها سنّة الحياة نفسها ، وإذا ارتضى الإنسان الحياة ، فلا بد أن يرتضى الموت أيضاً ... وهكذا تتحول المشكلة من مشكلة خاصة بالموت ، إلى مشكلة خاصة بالحياة ، وهنا يحق للمرء أن يتساءل : هل لمشكلة الحياة من حل ؟ !

زكريا ابراهيم

(١) المشكلة الخلقية : Le Problème morale ، الفصل الرابع ، ص ٢٠٠

« الحكيم وليلى » للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

قصة تحليلية تعالج كثيراً من المشكلات الاجتماعية . وإذا كان صاحبها الأستاذ توفيق حسن الشرتوني مجهولاً في مصر فإن أسرته خدمت العربية في المعجم النفيس « أقرب الموارد » الذي جمعه الشيخ سعيد الشرتوني

وعجيب جداً أن يكون للأستاذ توفيق الشرتوني أربعة كتب لم تذكرها صفحات النقد في مصر بكلمة واحدة . أو لعلها ذكرتها وغاب عنا زمانها ومكانها . ولكن هذه الظروف السعيدة بين لبنان ومصر قد حملت إلينا الأستاذ « توفيقاً » وحملت معه كتبه

في نظرات هذا الكاتب المفكر وميض قوي الشعاع ؛ ولذا تجد أفكاره دائماً مومضة مشعة . وتفكيره العميق يبدو في حديثه كما يبدو في كتابته . فهو لا يرمي الكلمة عفواً ، ولا يرسلها كما تكون ؛ ولكنه يزنها ويقدِّر لها مكانها بجانب أختها . ولهذا لا تجد في عباراته تزويقاً أو تنميقاً ؛ ولكنها عبارات تمتاز بالوضوح وعدم الإسراف في القول والغلاة فيه . وهو حكيم في نظراته إلى الأمور ، يبصرها من زوايا متعددة لا من زاوية واحدة . ولهذا تجد الحوار في هذه القصة حوار الحكيم لا حوار القاصّ . والمؤلف نفسه « حكيم » هذه القصة المؤثرة ؛ فهو يمشي إلى بيت البطلتين ليلى وسلمى ؛ ويخلو إليهما خلوة الحكيم لا خلوة العاشق . وتراه ينشي كل ناد ، ويرتاد كل مرتاد ، ويخالط الناس في كل ضرب من الأرض . وفي خلال ذلك يبث آراءه وينشر تعاليمه ، لا ييأس من إصلاح ، ولا يقنط من موعظة ؛ لأنه يريد أن ينتشل « ليلى » مما تورطت فيه . و « ليلى » فتاة تزوجت من شاب غني انحرف عن الجادّة ، وجار عن السبيل ، وأفسده القمار والخمار ... فأهمل حق زوجته وواجب أولاده . فرأت الزوجة البائسة أن تنتقم منه فانتقمت من نفسها ... فأهملت بيتها وتركت أولادها ، وشُغلت بشاب آخر على نصيب من المال والجمال وقوة العضلات ... !

وهنا تزور « سلمى » جارة « ليلى » الحكيمَ وتقص عليه من حوادث جارتها المنحرفة ما يكوِّنُ سلسلة من الفجائع ... فقد مات ولداها ومات زوجها أشنع ميتة ... وهي لا تزال ممعنة في توازع هواها ونزغات شيطانها ... ولا تزال الأيام ترميها بكل داهية حتى خولطت في عقلها

والأستاذ توفيق « الحكيم » ... اللبناني لا « توفيق الحكيم المصري » مخلص للأدب ، مخلص للانسانية . في كتابته نزعات نبيلة تطفر من بين سطوره طفراً . وهو صادق في فنه لأنه يعتقد (أن الصدق في القول والعمل هو جوهر الأدب الصافي في هذا الكون) وهو فوق ذلك كثير العطف على الإنسانية ؛ كثير الإشفاق عليها ؛ كثير الرجاء في صلاحها . وقصة « الحكيم وليلى » محاولة في سبيل هذا الإصلاح .

محمد عبد الغني حسن

من الشعر المنسي لحافظ

في سنة ١٩٠٢ أصدرت مطبعة هندية كتاباً ألفه محمد حافظ صبري من رجال القضاء المصري ـ ولا أدري أين هو الآن ـ وهذا الكتاب تحت عنوان : « المقارنات والمقابلات بين الأحكام والعاملات والحدود في شرع اليهود ونظائرها من الشريعة الإسلامية الغراء ، ومن القانون المصري والقوانين الوضعية الأخرى » . وقد قرظ هذا الكتاب شاعر النيل المرحوم حافظ بك ابراهيم بقصيدة أثبتت في آخره ، ومع ذلك لم تُذكر هذه القصيدة في ديوان حافظ الذي طبعته وزارة المعارف ، بينما ذكرت فيه (التقريظات) في الجزء الأول من صفحة ١٤٨ إلى صفحة ١٥٨ ؛ وها هي ذي القصيدة :

أشرع العقل أم شرع الكليم ... أرى في ذلك السفر العظيم ؟
قرأت سطوره فلمحت فيها ... برغم القوم تنزيل الحكيم
هو وضعوا لهم شرعاً جديداً ... فعاد بهم إلى الشرع القويم
ولولا هَدْيُ أحمد بعد موسى ... لما ساروا على النهج القديم
كذاك إذا النهى بلغت مداها ... هدتك إلى الصراط المستقيم
أحافظ قد وضعت لنا كتاباً ... جمعت بصلبه شمل العلوم
وأودعت النصوص به فكانت ... نصوص الدر في العقد النظيم
وأبرزت الشرائع في حلاها ... فمن آي ، ومن قول كريم
ومن نص إلى « التلمود » يعزى ... ومن قول لـ « صولون » الحكيم
جُزيت عن النهى والدين خيراً ... ووقيت العداء من الخصوم

فلعل الذين قاموا على جمع هذا الديوان وطبعه يلتفتون إلى إثبات هذه القطعة في الطبعة الجديدة للديوان .

(كلية اللغة العربية) أحمد الشرباصي